الأهرام

المصدر : نيوزويك

التاريخ : ١٠ يوليو ٢٠٠١

يوم الحساب

بقلم رود نوردلاند وروي غوتمان

إن إهانة سلوبودان ميلوسوفيتش بدورها تاريخية ومحزنة. ففي ظهر يوم الخميس دخل عليه مأمور السجن المركزي في بلغراد في زنزانته وقال له، "استعد، إنك ذاهب". إلى أين؟ "إلى لاهاي يا سيد ميلوسوفيتش". إنه لم يصدق. "هل أنت جاد حقا، سأذهب إلى لاهاي؟". ثم طلب ليدخن سيجارة: سمح له. وطلب التحدث إلى زوجته: رفض الطلب. ثم اقتاده حراس السجن في سيارة إلى طائرة هليكوبتر صغيرة خلف المركز السابق للشرطة السرية في بلغراد. وهناك سلم لثلاثة ممثلين لمحكمة جرائم الحرب التابعة للأمم المتحدة والخاصة بيوغسلافيا السابقة، والذين تلوا عليه حقوقه وبعض التهم الموجه ضده. ثم قاطعهم ميلوسوفيتش بغضب: "هذه مهزلة. إن محكمة لاهاي قد جاءت إلى العنوان الخطأ. إن العنوان الصحيح هو حلف شمال الأطلسي (الناتو). إن لك محاكمة في لاهاي أيضا".

ثم تم تفتيش ميلوسوفيتش وحقيبته الصغيرة، ثم حل الاستسلام محل الغضب. وصودرت بعض علب الحبوب التي كان يخبئها، والتي قال ميلوسوفيتش إنها فقط نايتروغلسرين يستخدمها لارتفاع ضغط الدم. وقد أشار ساخرا إلى التكهنات العامة التي تقول إنه سيقدم على الانتحار مثل ما فعلت أمه و أبوه من قبل. "لا تقلق إن أيا من هذه الأدوية ليس سما". وعلى متن طائرة الهليكوبتر تم إغلال يديه ثم طارت به إلى قاعدة إيغل في مدينة توزلا المسلمة في البوسنة. وهناك وضعه عسكريون أمريكيون من قوات حفظ السلام في طائرة متجهة إلى لاهاي. وحسب أحد المصادر ظل يحدق مليا من خارج نافذة الطائرة، وقد رفض طلبه بتدخين سيجارة أخرى، حيث إن طائرات سلاح البحرية الملكية البريطانية يمنع فيها التدخين. و مع حلول الساعة الواحدة صباح يوم الجمعة، كان ميلوسوفيتش في غرفة يبلغ حجمها 10 أقدام في طول 17 قدما في جناح الأمم المتحدة في سجن سكيفننغان الهولندي. ومن خلال قضبان الحديد في زنزانته يستطيع فقط أن يرى حائطا عاريا فقط.

وما إن نزعت الأغلال عن هذا الحاكم السابق المستبد حتى بدأ المعلقون يعلنون أن العدالة قد تحققت لعقد دام من فترة ميلوسوفيتش. وأعلن ناشطو حقوق الإنسان، أنه لأول مرة في التاريخ تتم محاكمة رئيس دولة سابق بواسطة المجتمع الدولي عن جرائم ضد الإنسانية. إن ميلوسوفيتش متهم بتدبير "حملة من الرعب والعنف ضد آلاف الألبان في كوسوفا خلال حرب عام 1999. إلا أن كبير المحققين في المحكمة، كارلا ديل بونتي، ستقوم بتوجيه اتهامات عن دوره في حرب البوسنة و كرواتيا، التي قتل خلالها أكثر من 200,000 شخص منذ بداية الصراع في البلقان عام 1991. ربما يواجه عقوبة السجن مدى الحياة، وهي أقصى عقوبة.

إن الرعب الذي حل بالبلقان يحتاج لأكثر من محاكمة سلوبودان ميلوسوفيتش ليمحى من الذاكرة. إن الكثيرين يرفضون فكرة "الذنب الجماعي" وهي أن الشعب مسؤول عن الجرائم التي يرتكبها زعماؤه. إن المحكمة وهي توجه الإتهام لشخص معين، تسعى لتجنب تلك الفكرة. إن ظل ميلوسوفيتش المليء بالأحقاد يطغى على عدد كبير من الجرائم التي ارتكبها كثيرون قد نجوا بجلدهم. ففي صربيا هناك الكثيرون من القتلة يقفون بجانبه. وربما في كل مكان من البلقان، هناك المتعصبون من القوميين المتحمسين لتقليده لايزالون اليوم.

فقط في الأسبوع الماضي في مقدونيا ـ واحدة من جمهوريات يوغسلافيا السابقة ـ وكأن الزمن قد عاد إلى الوراء لعام 1991 فقد قامت مجموعات من الميليشيات السلافية تجوب شوارع العاصمة سكوبيا، وهي تحمل لافتات تهدد العناصر الألبانية المسلمة بالرحيل أو الموت. وقامت مجموعات من الغوغاء من السلاف المقدونيين وهي تهتف، "الألبان إلى غرف الغاز" [في إشارة إلى المحرقة]. ويقودهم في ذلك رجال من الشرطة المحتالين، ثم اعتدوا على مبنى البرلمان ثم طاردوا الرئيس وأخرجوه من مكتبه بسبب دخوله مفاوضات سلام مع الأعداء. ثم طارد المتظاهرون الغربيين في الشوارع ومعظمهم من العاملين في وكالات الإغاثة أو صحافيين، ث

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

إعتدوا بالضرب من دون هوادة على العشرات منهم. وفي بهو فندق الهوليداي إن الذي يمثل بارقة أمل للاستثمار في مستقبل ذلك البلد الصغير، أصبح البهو ملطخا بدم أحد مصوري هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي).

إن العنف الذي بدأه أولئك الغوغاء، أشعلته قوات الناتو بتصرفها غير الحكيم. ففي يوم 25 يونيو قامت مجموعة من ناقلات الجيش التابعة للفرقة 101 المحمولة جوا من القوات الأمريكية بإجلاء 450 من المقاتلين الألبان من بلدة أرسينوفو المحاصرة. والبلدة تطل على مطار سكوبيا، حيث تهدد قذائف الهاون من المقاتلين خطوط الإمداد الحيوية لقوات الناتو داخل كوسوفا، التي تبعد فقط 25 ميلا إلى الشمال. وقد فشلت محاولات الجيش المقدوني في طرد المقاتلين من تلك المنطقة فشلا ذريعا. إلا أن المقدونيين رأوا أن قوات الناتو قد أنقذت جيشا مهزوما. فقد قامت القوات المقدونية بضرب وجرح جندي أمريكي يعمل في مكتب الملحق العسكري الأمريكي في السفارة الأمريكية رغم أن إصابته ليست خطيرة. ولكبح جماح مشاعر العدوان ضد أمريكا قام الرئيس بوش بتجميد حسابات المصارف بالنسبة إلى الألبان "الإرهابيين". و أنه لم يرفض فكرة إرسال مزيد من القوات الأمريكية إلى مقدونيا.

إن تسليم ميلوسوفيتش له ثمن سياسي باهظ بالنسبة إلى استقرار يوغسلافيا. فعندما نجح محاموه في تأجيل تسليم ميلوسوفيتش بواسطة المحكمة العليا في يوغسلافيا، فإن رئيس الوزراء الصربي زوران جينجتش تجاهل قرار المحكمة، مدعيا أن المحكمة مليئة بأنصار ميلوسوفيتش المعينين. واستقال رئيس الوزراء اليوغسلافي احتجاجا، ثم انهارت الحكومة.

إن قليلا جدا، ما عدا بعض المؤيدين الصرب، يشككون بأن ميلوسوفيتش يستحق جزاء ما فعل. إلا أن معظم الصرب لم يواجهوا حقيقة ما فعلته أمتهم. ففي إستطلاع أجرته محطة بي 92 الإذاعية أن معظم الصرب يرون أن ميلوسوفيتش هو رابع أعظم شخصية صربية على مر التاريخ. وأن الصرب ليسوا فقط هم المذنبون في هذا الأقليم. ورغم أن أنظار العالم تتجه إلى ميلوسوفيتش والبوسنة، فإن كرواتيا ظلت تنظم حملة تطهير عرقي ضد الأقلية الصربية التي بقيت هناك. ورغم رحيل ميلوسوفيتش فإن سحب قوات الناتو من البوسنة يعني الحرب.

وكسوفا أيضا غير مستقرة. إن الأغلبية الألبانية في الإقليم، التي طالما اضطهدت في عهد ميلوسوفيتش، لن تدين القتل المنظم ضد العجائز من الصرب الذين لم يتمكنوا من الفرار. حيث إن فكرة صربيا الكبرى تظل منبوذة، فإن الألبان في سرهم يتطلعون إلى كوسوفا الكبرى ذات الأصول الألبانية الكاملة.

إن الناتو نفسه غير مبرأ من الضلوع في الأمر. فالغرب وبصوت عال طالب صربيا بتسليم ميلوسوفيتش إلى لاهاي ـ فالولايات المتحدة هددت بوقف المساعدات إذا لم يتم تسليمه ـ لكنها تجاهلت مطالبة المحكمة بالقبض على آخرين من الدرجة الثانية والثالثة: رادوفان كراديتش، رئيس صرب البوسنة السابق، وراتكو ملاديتش، الجنرال الصربي، كليهما مطلوب ومتهم بالتطهير العرقي في البوسنة. قد صدرت الأوامر لقوات الناتو بالقبض عليهما، إلا أنهما يجوبان المنطقة التي يسيطر عليها الناتو بكل حرية. ويقول رتشارد هولبروك سفير الأمم المتحدة السابق والمفاوض في البلقان، "إن أمر مهم جدا أن يتم القبض عليهما ومحاكمتهما".

إن محاكمة ميلوسوفيتش، ونشر الأدلة ضده سوف تساعد في فضح الكثير. واليوم، على الأقل، فإن زعماء الأقليم على علم بأنه لا يمكنهم فعل تلك الأفعال التي قام بها ميلوسوفيتش. ويقول "خوجة" أحد المقاتلين الألبان في بلدة أرسينوفو، "نأمل أن يعلم آخرون مثل ميلوسوفيتش الذين يعتبرون أنفسهم ملوكا أنهم لن يفلتون وهم يقتلون الناس". إنه أمر غريب أن نسمع ذلك من رجل يلوح ببندقيته أيه كيه 47 وهو يستعد لخوض معركة جديدة ضد الحكومة المنتخبة ديموقراطيا في مقدونيا. لكن ذلك من المحتمل أن يكون صحيحا.

الرجل القوي السابق يتم اقتياده إلى طائرة الهليكوبتر في المرحلة الأولى من رحلته إلى هولندا الأسبوع الماضي

بمشاركة زوران سرجاكوفيتش في بلغراد
سكوت جونسون في لاهاي
جوليت تيرزييف في أرسينوفو

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية